

العلاقة مع اﻻ ﺳﺒﺤﺎﻧﻪ ﺑﻘﻠﻢ ﺍﻻﺳﺘﺎﺫ ﻋﻤﺎﺩ ﺍﻟﻬﻼﻟﻲ

العلاقة مع اﻻ ﺳﺒﺤﺎﻧﻪ ﺑﻘﻠﻢ ﺍﻻﺳﺘﺎﺫ ﻋﻤﺎﺩ ﺍﻟﻬﻼﻟﻲ

لعل أهم مبحث ينبغي على الإنسان البحث فيه هو علاقة اﻻ ﺳﺒﺤﺎﻧﻪ ﺑﻪ وعلاقته مع اﻻ ﺳﺒﺤﺎﻧﻪ، ومن العلاقتين تُشتق وتؤسس كل معرفة أخرى، بل منهما يُكون العقل والمعرفة والحكمة وكل خير.

أما علاقة اﻻ ﺳﺒﺤﺎﻧﻪ ﺑﻨﺎ ﻓﻬﻮ ﺍﻟﺨﺎﻟﻘﻴﻪ، ﻭﺍﻟﺨﻠﻖ -ﻛﻤﺎ ﻗﻠﻨﺎ ﺳﺎﺑﻘﺎً - ﻫﻮ ﻋﻼﻗﺔ ﻣﺴﺘﻤﺮﺓ، ﻭﺍﻻﺳﺘﻤﺮﺍﺭ ﺗﻌﺒﻴﺮ ﻧﺴﺘﻌﻤﻠﻪ ﻟﻘﺴﻮﺭ ﺍﻟﺌﻔﺎﻁ ﻋﻦ ﺍﻟﺌﺎﺭﺓ ﻟﺘﻠﻚ ﺍﻟﻌﻼﻗﺔ ﺍﻟﺘﻲ ﻫﻲ ﻓﻮﻕ ﺍﻟﺰﻣﺎﻥ، ﻓﺮﻏﻢ ﺃﻥ ﻭﻋﻴﻨﺎ ﻓﻲ ﻫﺬﻩ ﺍﻟﺪﻧﻴﺎ ﻣﺘﻘﻄﻊ ﺑﺎﻟﺰﻣﺎﻥ ﻓﻨﻌﻲ ﺃﻧﺎً ﻭﺍﺣﺪاً ﻣﻦ ﺍﻟﻜﻮﻥ ﺗﻢ ﻳﺘﺤﺮﻙ ﻭﻋﻴﻨﺎ ﻣﻊ ﺍﻟﻜﻮﻥ ﻭﻣﻊ ﺍﻟﺰﻣﺎﻥ ﻓﻨﻨﺘﻘﻞ ﺇﻟﻰ ﻭﻋﻲ ﺃﻥ ﺁﺧﺮ، ﻭﻫﻜﺬﺍ.. ﻭﻟﻜﻦ ﻫﻨﺎﻙ ﻓﻲ ﺃﻋﻠﻰ ﻧﻔﻮﺳﻨﺎ ﺟﺰﺀ ﻓﻮﻕ ﻫﺬﺍ ﺍﻟﺘﻘﻄﻊ ﺍﻟﺰﻣﺎﻧﻲ ﻭﻟﻮﻻﻩ ﻟﻢ ﻧﺴﺘﻄﻊ ﺗﺬﻛﺮ ﺍﻻﻧﺎﺕ ﺍﻟﻤﺎﺿﻴﻪ، ﻭﺫﻟﻚ ﺍﻟﺠﺰﺀ ﺃﺯﻟﻲ ﻳﻤﺘﻞ ﺍﻟﻌﻼﻗﺔ ﻣﻊ اﻻ ﺳﺒﺤﺎﻧﻪ ﻭﺗﻌﺎﻟﻰ ﻭﺍﻟﻠﻤﺴﺔ ﺍﻟﺨﻠﻘﻴﻪ ﻭﺍﻟﺤﻘﻴﻘﺔ ﺍﻟﺒﺴﻴﻄﺔ ﺍﻟﺌﻮﻟﻰ ﻭﺍﻻﺳﻢ ﺍﻟﻤﻜﻨﻮﻥ ﺍﻟﺰﻱ ﻫﻮ ﺳﺮ ﺣﻴﺎﺗﻨﺎ ﻭﻭﻋﻴﻨﺎ.

وأما علاقتنا باﻻ، أعني مسيرتنا نحوه وكيف نسير إليه عز وجل، فهناك طريقتان لتصورها:

ﺍﻟﺌﻮﻟﻰ: ﺍﻟﺴﻴﺮ ﺑﺎﻟﻤﻌﺮﻓﺔ ﻭﺍﻟﻌﻘﻞ ﻭﺍﻻﺳﺘﻨﺘﺎﺝ، ﻭﻫﺬﻩ ﺍﻟﻄﺮﻳﻘﺔ ﻻ ﺗﻮﺻﻞ ﺇﻟﻰ اﻻ ﺳﺒﺤﺎﻧﻪ ﻭﻟﻜﻨﻬﺎ ﺗﻨﻔﻊ ﻓﻲ ﻧﻔﻲ ﺍﻟﺌﻮﻟﻰ، ﻻﻥ ﺍﻟﺘﺤﺮﻱ ﺍﻟﻤﻌﺮﻓﻲ ﻭﺍﻟﺒﺤﺚ ﺍﻟﻌﻘﻠﻲ ﻳﻨﻔﻊ ﻓﻲ ﺍﻟﻘﻀﺎﻳﺎ ﻻ ﻓﻲ ﻭﺟﺪﺍﻥ ﺍﻟﺠﺰﺋﻴﺎﺕ، ﻭﻗﺪ ﻳﺰﻳﺪ ﺍﻟﻴﻘﻴﻦ ﺑﻮﺟﻮﺩ ﺍﻟﺸﻴﺀ ﻭﻟﻜﻦ ﻻ ﻳﻮﺻﻠﻨﺎ ﺇﻟﻰ ﻣﺸﺎﻫﺪﺗﻪ، ﻓﻤﺘﻼً ﻟﻮ ﺍﺧﺘﻠﻔﻨﺎ ﻓﻲ ﻭﺟﻮﺩ ﺍﻟﺌﻨﺴﺎﻥ ﻓﻲ ﺍﻻﺳﺘﻨﺘﺎﺝ ﻭﺟﻮﺩﻩ ﻣﻦ

الإمكان أو الوجوب ليس مثل مشاهدته بنفسه. ولكن السير العقل يفتح باب اليقين باق تعالي بدلالة عرضية أو لنقل من استشفاف خلفي، كمن يسير في طريق والشمس من خلفه سيرى ظله أمامه فيعرف نفسه ويعرف أنه لولا الشمس لما كان له ظل، ثم شيئاً فشيئاً يصرف وعيه عن الظل ويلاحظ نفسه ثم ينتبه أنه لولا الشمس لما كان له وعي.

الثانية: التنازل عن الأناية بالتدرج، ولغرض تقريب التصور نشبهه بشخص وقع في البئر على وجهه، ثم ألقي إليه حبل ربطه في ظهره وسُحب إلى الأعلى ووجهه إلى الأسفل، وأثناء سحبه إلى الأعلى صار ينظر إلى جوانب البئر التي كان فيها والتي اجتازها أثناء السقوط السريع، فهو لم يكن ليصعد من تلقاء نفسه لولا الحبل، وما كان بإمكانه النظر إلى الأعلى لأنه ينظر إلى الأسفل. والإدراك في المرتبة السفلى لا يمكنه الإحاطة بما فوقها؛ لأنه يدرك السفلى بالعليا ولا يمكن إدراك العليا بالسفلى، إلا على نحو التشبيه.

فعملية الخلق هي تنزّل لنور ااق من مقام إلى مقام حتى خُلِق هذا الجسد، فكيف نرجع في طريق خطوات التنزل؟ يكون ذلك ليس بحركة الإنسان نفسه، بل بتنازله عن المراتب المتنزلة شيئاً فشيئاً، وكلما قشّر الإنسان شيئاً من أنانيته كلما برزّ النور الإلهي الذي هو في باطنه ثم يتسلسل حتى يرى لحظة ولادته وبروزه في عالم الإمكان، ثم تختفي مداركه الشخصية حتى يكون الوعي بنور ااق عز وجل.

والطريقان -بتدبير ااق تعالي ولطفه- طريق واحد، والخلق يتجه إلى يوم القيامة [كما بدأنا أول خلق نعيده) والأرض تنقص من أطرافها والظل يُقبض قبضاً يسيراً] وشمس الحقيقة تتحول من الشرق إلى المغرب، وما على الإنسان سوى أن يبلغ أقصى ما يمكنه عمله ويصعد إلى أعلى الطور ثم من هناك إذا شاء ااق أن ينزع عنه أنانيته ويقلبه لباطنه ناداه [فَلَمَّسَّا أَتَاهَا نُودِي مِن شَاطِئِ الدَّوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَأْمُوسَىٰ إِبْرَاهِيمَ أَن يَكُنَا آلًا لِّرَبِّكَ إِنَّكَ لَرَءِي عِنْدَ رَبِّكَ فَكَرِهْتُمَا] (القصص : 30) (راجع معالم هذا المستوى في كتاب عواطف الآملين في سورة القصص المباركة).